

منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان

د. رشيد منصور الصباحي

أستاذ التفسير المساعد - كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن - جامعة إب

ملخص البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
فمن أصول العقيدة الإسلامية شمولية العبودية لكل ما سوى الله تعالى ، فلا توجد في الكون سوى ألوهية واحدة متفردة ويختص بها الله سبحانه وتعالى ، وعبودية شاملة لكل ما سواه سبحانه وتعالى .
هذا البحث يعرض منهج القرآن الكريم في بيان عبودية غير الإنسان ، ومظاهر هذه العبودية عند الكائنات ، حيث يبين حقيقة العبودية ، وأقسامها وموقف الكائنات منها ، ومنهج القرآن الكريم في تقريره لعبودية غير الإنسان للواحد الديان ، أسأل الله التقدير أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

مقدمة البحث وتشمل :

أولاً : مشكلة البحث وأهميته :

تتضح مشكلة البحث من خلال اعتقاد أكثر الناس أنه لا عابد لله من جميع المخلوقات إلا ما عقل منها من ملائكة وإنس وجن ... ، وما عدا ذلك من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد ونحو ذلك فليس لها إدراك ولا تمييز ولا إحساس ولا تعقل وبالتالي فهي ليست مخاطبة بعبادتها لله ، وليس لها شيء من العبودية لله البتة ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد قرر عبادة وعبودية كل شيء في الكون له وحده كما يتضح من قوله سبحانه : ﴿ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَدِينُونَ ﴾ ^(١) وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِجُّ بِحُجْرَةٍ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ^(٢)

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى تحقيق الأهداف التالية :

ثانياً : أهداف البحث :

١- إثبات الإدراك والتمييز والإحساس لغير الإنسان ، وخاصة الحيوان ، والجماد ، وبالتالي إثبات عبادتها وعبوديتها لرب العالمين .

٢- حصر وكشف مظاهر عبودية غير الإنسان لرب الأكوان .

٣- استنباط منهج القرآن الكريم في بيان عبودية غير الإنسان لرب العالمين .

ثالثاً : الدراسات السابقة لموضوع البحث :

لم أطلع على دراسات سابقة لموضوع البحث إلا ما قد وقع تحت يدي من الكتب التالية :

١. عبودية الكائنات لمؤلفه : فريد إسماعيل التوني .

٢. كل مؤلفات الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر المتعلقة بالملائكة وبعض مظاهر عبوديتها لله ، والجن وشيئاً من مظاهر عبوديتها لله .
٣. بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته للشيخ الدكتور : عبد المجيد الزنداني ، حيث جمع فيه كل معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي شيء من عبادات الشجر والحيوان والحجر وغير ذلك من الروايات التي جمعها من السابقين .

رابعاً : منهج البحث :

- ١- المنهج الحضري الاستقرائي لما أمكن من آيات الموضوع وجزيئاته ، وتأملها وملاحظتها بدقة للوصول من ذلك إلى إثبات تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان لله عز وجل .
- ٢- المنهج التحليلي الوصفي لآيات الموضوع ، لدراساتها ومعرفة معانيها وتفسيرها ، ثم تصنيفها حسب خطة الموضوع وفقراته المتناسبة معها .
- ٣- المنهج الاستدلالي الاستنباطي لاستنباط منهج القرآن وأساليبه في إثبات عبودية غير الإنسان لرب الأكوان. وبيان صور ذلك .

خامساً : خطة البحث :

- اشتمل البحث على مبحث واحد فيه عدة مطالب ومسائل كما يلي :-
- المطلب الأول : تعريفات ومصطلحات
- المسألة الأولى : المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً .
- المسألة الثانية : المقصود بالعبودية لغة واصطلاحاً .
- المسألة الثالثة : أقسام العبودية .
- المسألة الرابعة : المقصود بغير الإنسان .
- المطلب الثاني : اشتراك غير الإنسان مع الإنسان في الإدراك والتمييز والإحساس وغير ذلك :-
- المسألة الأولى : إدراك غير الإنسان وتمييزه للأشياء من حوله .
- المسألة الثانية : إحساس غير الإنسان بما حوله وتكلمه بذلك .
- المطلب الثالث : تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان
- المسألة الأولى : تقرير القرآن لعبودية الملائكة لله عز وجل .
- المسألة الثانية : تقرير القرآن لعبودية الجن لله عز وجل
- المسألة الثالثة : تقرير القرآن لعبودية الحيوانات والدواب لله عز وجل
- المسألة الرابعة : تقرير القرآن لعبودية النبات والشجر لله عز وجل
- المسألة الخامسة : تقرير القرآن لعبودية الجبال والأحجار لله عز وجل

المسألة السادسة : تقرير القرآن لعبودية الطواهر الجوية لله عز وجل

المسألة السابعة : تقرير القرآن لعبودية أجرام السماء وظلال الأشياء لله عز وجل

المسألة الثامنة : تقرير القرآن لعبودية السماوات والأرض بكل من فيهما وما فيهما لله عز وجل

المسألة التاسعة : تقرير القرآن لعبودية نار الدنيا لله عز وجل

المطلب الرابع : منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان لله عز وجل

المسألة الأولى : تصريح القرآن بإيمان غير الإنسان بالله عز وجل بشكل عام

المسألة الثانية : ذكر القرآن لعبادات غير الإنسان لله وتفصيله لذلك بشكل خاص

المسألة الثالثة : تصوير القرآن لمشاهد ومواقف تعبد غير الإنسان لله عز وجل

المسألة الرابعة : نفي القرآن لاستكبار غير الإنسان عن عبادة الله أو تقصيره في ذلك

المسألة الخامسة : تسجيل القرآن لاعتراف غير الإنسان بعبادته لله

المسألة السادسة : تقرير القرآن عبادة غير الإنسان لله ونفيه علم البشر بذلك وفقهم له

المسألة السابعة : ضرب القرآن الأمثلة لبيان عبودية غير الإنسان وعبادته لله

المطلب الأول : تعريفات ومصطلحات :

المسألة الأولى : المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً :

أولاً المنهج لغة : المنهج مأخوذ من نَهَج ، وطريق نَهَج أي بَيَّن واضح ، والجمع نهجات ونهَج ونهوج ...

والمنهاج كالمنهاج ، ... ونهجتُ الطريق أي سلكته ، والنهج الطريق المستقيم^(٣) ، والخلاصة أن من معاني

المنهج لغوياً مما يتصل بالموضوع :

١ - الطريق البين الواضح ٢ - الطريق المستقيم ٣ - الخطة المرسومة

ثانياً : المنهج اصطلاحاً :-

هو الطريق الواضح المستقيم الذي جرى استعماله^(٤) ، والقائم على خطة مرسومة^(٥) .

المسألة الثانية : المقصود بالعبودية لغة واصطلاحاً :

أولاً : المقصود بالعبودية لغة : مشتقة من عَبَدَ ، والعَبْدُ هو الإنسان حراً كان أو رقيقاً ...

والجمع أعبد وعبيد ... وعبدان ... وأصل العبودية الخضوع والتذلل ... والعابد الموحد^(٦) .

ثانياً : العبودية اصطلاحاً : قال ابن القيم : (العبودية هي كمال المحبة ، في كمال الذل والخضوع والانقياد

لمراضي المحبوب وأوامره ، تدبيراً وتصريفاً وقهراً)^(٧) أو هي : (نفاذ مشيئة الله وقدرته وإرادته في كل مخلوق

دون امتناع)^(٨) .

المسألة الثالثة : أقسام العبودية :- تنقسم العبودية إلى ثلاث أقسام :

١- عبودية عامة ، وهي عبودية الربوبية ، وتشمل كل المخلوقات قال تعالى : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ^(٩) ويدخل في ذلك الكفار ، والعبودية العامة تعني أن الخلق كلهم مملوكون لله ، مخلوقون له ، يتصرف فيهم ويدبر أمورهم ^(١٠) ، فهي عبودية كونية قدرية .

٢- عبودية خاصة ، وهي عبودية الطاعة العامة ، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

هَوْنًا ﴾ ^(١١) وهذه تعم كل من تعبد لله بشرعه ، ويسمى بعضها عبودية التأله والمحبة ، وهي خاصة بالمؤمنين والمرسلين ^(١٢) .

٣- عبودية خاصة الخاصة ، وهي عبودية الرسل عليهم سلام الله ، قال تعالى عن نوح ﴿ إِنَّمَا كُنْتُ عَبْدًا

شَاكُورًا ﴾ ^(١٣) وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا

فَأْتُوا سُورَةَ مِّن مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١٤) والخلاصة أن هناك تعبدان :-

أ- تعبد كوني لكل المخلوقات بشكل عام .

ب- تعبد شرعي لعقلاء المخلوقات من الملائكة والجن والإنس .

وأصل العبودية وأساسها مبني على افتقار المخلوق الضعيف المرهوب المقهور العاجز الذي لا حيلة له إلا بالله عز وجل ^(١٥) .

المسألة الرابعة : المقصود بغير الإنسان :

أي من لا ينتمي لجنس الإنسان سواء كان عاقلاً كالملائكة والجن ، أو غير عاقل كالحيوان والجماد والنبات وسائر المخلوقات .

وبناءً على ما سبق من تعريفات لغوية واصطلاحية لعنوان البحث (منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان) فيمكن تعريف العنوان إجمالاً بأن المقصود به :

طريقة القرآن الكريم الواضحة المستقيمة وخطته المرسومة في بيان خضوع غير الإنسان لله ، وافتقاره إليه ، وانقياده لمشيئته وقدرته وإرادته وجميع أوامره تدبيراً وتصريفاً وقهراً على سبيل الاضطراب ، أو انقياده لمحبهه ومرضاته على سبيل الاختيار .

المطلب الثاني : اشتراك غير الإنسان مع الإنسان في الإدراك والتمييز والإحساس وغير ذلك :

يغلب على ظن أكثر الناس أن ما عدا الإنسان من حيوان ونبات وجماد وظواهر كونية كالرياح والسحاب وغيره ، أنه لا يشبه الإنسان في إدراكه للأشياء ، وتمييزه للأمور ، وإحساسه وعواطفه ، وأن لا

شيء لهذه المخلوقات غير العاقلة من ذلك البتة ، وفي الحقيقة أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد بيّنا لنا أن ما في الكون من مخلوقات خلقها الله عزوجل لها إدراك وتمييز للأشياء وإحساس بالأمر التي حولها ، فهي تشبه الإنسان كما قال تعالى عن الدواب والطيور : ﴿ وَمِمَّن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١٦) قال المفسرون : أي إلا أُمَم أَمْثَلُكُمْ في العلم بالضر والنافع والتوقي عن المهلك^(١٧) ... وقيل يشبه بعضها بعضاً ويأنس بعضها ببعض^(١٨) ... وغير ذلك من الأقوال ، والشاهد من هذا أن الله تعالى جعل لمخلوقاته من الإدراك والتمييز لما هو لها والإحساس به مثل ما هو للإنسان ، وربما تفوّقت عليه في بعضها ، وربما تكلمت مثله ، وقد أثبت العلم الحديث كثيراً من ذلك^(١٩) ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلم يعد غريباً ولا منكراً أن تصدر من هذه المخلوقات مظاهر عبادة لخالقها ، تدل على عبوديتها لله عزوجل وحتى يتضح هنا الأمر بشكل أفضل يمكن تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :-

المسألة الأولى : إدراك غير الإنسان وتمييزه للأشياء من حوله :-

وردت نصوص قرآنية وأخرى نبوية تكشف أن ما عدا الإنسان من المخلوقات الأخرى المصنّفة ضمن الحيوان والجماد والنبات والأكوان بشكل عام ، أنها تتمتع بصفة الإدراك والتمييز لما هو لها ، يؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾^(٢٠) قال المفسرون : (أخبر الله تعالى أن لهذه العوالم إدراكاً كإدراك الإنسان أو أشد منه ، فأثبت تعالى لهذه العوالم إدراكاً وإشفاقاً من تحمل الأمانة ... ولم يكن هذا العرض مجرد تسخير ، ولا هذا الإباء مجرد سلبية بل عن إدراك تام)^(٢١) .

ومثل هذا الإدراك والتمييز ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الجمل الذي ندّ على أهله ثم خضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق - رضي الله عنه - لكانه يعلم إنك لرسول الله ، فقال: صلى الله عليه وسلم : (نعم إنه ما بين لاتبها)^(٢٢) إلا وهو يعلم أني رسول الله) أي ما بين لاتبتي المدينة المنورة ، وفي رواية (إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس)^(٢٣) . فهذا كله يثبت إدراكاً للحيوان والجماد بالمحسوس وبالمغيب إدراكاً لا يقل عن إدراك الإنسان، لقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما صعد هو وأبو بكر وعمر وعثمان على جبل أحد ما نصه : (أثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)^(٢٤) وذلك عندما ارتجف وهم عليه ، وإذا به ثبت كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه يعرف النبي ويعرف الصديق والشهيد ، (فبأي قانون كان ارتجافه ؟ وبأي معقول كان خطابه ؟ وبأي معنى كان ثبوته)^(٢٥) ؟ ثم هاهو صلى الله عليه وسلم يثبت له الحجة المتبادلة بقوله (يحبنا ونحبه)^(٢٦) .

فله إدراك وتمييز ومشاعر وعواطف.

المسألة الثانية : إحساس غير الإنسان بما حوله وتكلمه بذلك :-

وكما أن غير الإنسان من غير العقلاء يدرك ويميز الأشياء ، فإنه كذلك يُحسُّ بها ، وربما يتكلم بما يدل على إحساسه هذا ، كما يتضح من حديث القرآن عن النملة والهدد حيث قال تعالى: ﴿ وَحِشْرَ لَسِيلَيْنِ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨) فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٠) لِأَعْلَبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢١) فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ (٢٧).

فهذه الآيات بما فيها من دلالات ألفاظ النملة كما يلي : (قالت نملة ...) (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وألفاظ الهدد كما يلي : (...) قال أحطت بما لم تحط به (جئتكم من سبأ نبأ يقين) (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ...) (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) .

فتلك الآيات السابقة بما فيها من دلالات ألفاظها المنطوقة على لسان النملة والهدد تؤكد أن للحيوان شعوراً وإحساساً وعواطفاً يعيش بها ، وله إدراك للحق من الباطل ، وللضار من النافع ، وللخير من الشر وللتوحيد من الشرك ، وعنده قدرة على تحليل ما حوله من المشاهد والمواقف والأحداث ، وقدرة على التعبير عما يجيش في عواطفه وفكره ، وقدرة على التصوير لما شاهده ، وعنده غيرة على حرمة الله أن تنتهك ، وإنكار لما يراه مما لا يرضي الله ، وعنده معرفة سابقة بالحق والدين والتوحيد ، وعنده إلمام بمكر الشيطان ومكائده وتزيينه للباطل ، وعنده دعوة إلى عبادة الله وحده دون سواه ، فهل بعد هذا الإدراك من إدراك ، لقد استشعر سليمان عليه السلام إدراك النملة وإحساسها وشفقتها على بني جنسها أن يُصبن بسوء من سليمان وجنوده ، بل تعجب من شدة إدراكها لما قد يصيبها وقومها بدون علم سليمان وجنوده ، وبلا شعور منهم ،

وها هي تلتبس لهم العذر قائلة (وهم لا يشعرون)^(٢٨) فما كان منه إلا أن شهد بإدراكها وإحساسها بعد أن سمع كلامها ﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢٩) . واستشعر أيضاً إدراك هدهده وتعلقه لخطابه وفهمه لتوجيهاته ، فخطابه وهو يوجهه إلى ملكة سبأ قائلاً : ﴿أَذْهَبَ يَكْنِي هَكَذَا فَالِقَةَ اللَّيْلِ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرْ مَاذَا يَرْمُونَ﴾^(٣٠) .

وهكذا هو الإدراك عند بقية الحيوانات والجماد وكل ما في الكون ، ولا يتسع المقام هنا لسرد كل الشواهد القرآنية .

هذه نصوص القرآن المؤكدة لإدراك غير الإنسان وإحساسه وكلامه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٣١) أما الأحاديث النبوية فقد تعددت في ذلك ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم عن المؤذن (لا يسمع صوت المؤذن من حجر ولا مدر ولا شجر إلا شهد له يوم القيامة)^(٣٢) فبم سيشهد إن لم يك مدركاً الأذان والمؤذن؟!

وقوله صلى الله عليه وسلم عن يوم الجمعة : (... وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة في الأرض إلا وهي تصبح بأذنها ، من فجر يوم الجمعة حتى طلوع الشمس ، إشفافاً من الساعة ، إلا الجن والإنس)^(٣٣) .

بل جاءت أحاديث أخرى تذكر خوف كل المخلوقات العاقلة وغير العاقلة من يوم القيامة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الجمعة : (... وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ، ولا سماء ولا أرض ، ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يُشفقن من يوم الجمعة)^(٣٤) .

وجاءت أحاديث أخرى تقرر وجود الجوارح الحاسة لما نعتده جماداً ، وتؤكد قدرته على الرؤية والنطق والشهادة بالحق ، كما قال صلى الله عليه وسلم عن الحجر الأسود : (ليأتين هذا الحجر يوم القيامة ، وله عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من يستلمه بحق)^(٣٥) ، وغير ذلك من الروايات التي تؤكد امتلاك غير الإنسان لخصائص الإدراك والتميز والإحساس والكلام ونحو ذلك ، كسرور الجبال وفرحها بذكر الله^(٣٦) ، واستراحة البلاد والعباد والشجر والدواب بموت الفاجر^(٣٧) ، وكلام دابة الأرض قبل قيام الساعة^(٣٨) ، وحديث البقرة لسائقها كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به^(٣٩) ، واستغفار حيتان البحار للعالم بالله^(٤٠) ، ودعاء الديك للصلاة^(٤١) . وكلام الذئب لراعي الشاة وشهادته برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤٢) ، ودعاء الفرس لربه أن يجعله من أحب مال الإنسان إليه ، ومن أحب أهله له^(٤٣) . وصحت الروايات بخين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعه الصحابة^(٤٤) ، وب تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم^(٤٥) .

وما ثبت لفرد يثبت لقبية أفراد جنسه كما هو معلوم في قاعدة الواحد بالجنس والواحد بالنوع)^(٤٦) .

فهذا كله يثبت إدراكاً لغير الإنسان ، وتمييزاً وإحساساً وكلاماً^(٤٧) ، وما دام الأمر كذلك فما المانع من إثبات معرفتها لله وعبادتها له - أي كل المخلوقات ماعدا الإنسان - وهذا ما نفصل القول فيه في المبحث الثالث كما يلي:-

المطلب الثالث : تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان :

لقد تناول القرآن الكريم عبودية غير الإنسان في عشرات الآيات القرآنية ، وسجّل صور تلك العبادات والتعبدات لله عزوجل ، وحتى يتسنى لنا استنباط منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان ، تمهّد لذلك بالحديث عن تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان لله عزوجل ، كما يتضح من المطالب التالية :-

المسألة الأولى : تقرير القرآن لعبودية الملائكة لله عزوجل :

تعددت آيات القرآن التي قررت عبودية الملائكة لله عزوجل ، وكشفت صور عبادتها له سبحانه وتعالى فقد تحدث القرآن عن :

أ- إيمان الملائكة بالله عزوجل وشهادتها له بالتوحيد ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤٨) أي قائماً بالعدل بين خلقه^(٤٩)

وقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾^(٥٠) .

ب- وتحدث عن تسبيح الملائكة لله وبحمده في غير ما آية كقوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴾^(٥١) وقوله : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴾^(٥٢)

وسجّل سبحانه تسبيحهم له وهو يقولون ﴿ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿^(٥٣) وكشف لنا تسبيحهم له في الدار الآخرة بعد أن سألهم - وهو أعلم - عن عبادة الكفار لهم

فقالوا : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٥٤)

وبعد انتهاء الحساب كما قال سبحانه : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفِيهِمْ يَتَمَثَّلُ الْحَقُّ وَقِيلَ لِلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥٥) وسجّل لنا اعترافهم المطلق بدوام

تسبيحهم لله عزوجل كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾^(٥٦)

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾^(٥٧) ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ السَّيِّئُونَ ﴾^(٥٨) وكما جاء في قوله سبحانه على لسانهم أيضاً عن

آدم وذريته ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

وغيرها من الآيات التي ستأتي فيما يلي من فقرات البحث مع بيان تفسيرها جميعاً سواء ما ذكر هنا أو ما يأتي من آيات لاحقة ، والمقصود بالتسبيح هنا التزيه لله عزوجل من كل مالا يليق به من نقص وعيب^(٥٨) وقد يكون متلبساً بالتحميد لله والثناء عليه وتعظيمه في نفس الوقت .

ج- وذكر القرآن سجود الملائكة لله عزوجل ، كما جاء في قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٥٩﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٠﴾ .

د- وبين القرآن أيضاً خوف الملائكة من الله كما جاء في قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾ وقال : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ

مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٢﴾ .

هـ- وكشف القرآن عن استغفار الملائكة للمؤمنين التائبين ودعائهم لهم ولذرياتهم ، كما جاء في قوله

سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾ . وكما جاء في قوله عزوجل : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَطَفَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ

وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿هُوَ

الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٦٦﴾ .

و- وتحدث القرآن عن عظيم امتثال الملائكة لله عزوجل وطاعتهم له فقال تعالى : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٧﴾ أي : مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه ولا يتأخرون عنه طرفة عين ،

وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه يؤكد هذا قوله تعالى : ﴿لَا يَسْقُوتُ عَنْهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ .

ز- وأشار القرآن الكريم إلى صُورَ أخرى من صُورَ عبادات الملائكة لله عزوجل مما يحقق تمام عبوديتهم له ، مما يرتبط بالخلق ، كتبشيرهم للموحدين بالجنة^(٦٨) ، وتأبيدهم للمجاهدين في سبيل الله^(٦٩) ، وتسليمهم على أولياء الله في جنته^(٧٠) ، ولعنهم للكافرين^(٧١) ، وامتهانهم لهم جزاء كفرهم^(٧٢) ، وعناهم لهم يوم القيامة^(٧٣) ، وغير ذلك من صور عبادة الملائكة لله عزوجل .

وخلاصة القول أن الله تعالى وصف ملائكته العابدين بأنهم (عباد مكرمون)^(٧٤) وأنهم ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(٧٥) وأنهم ﴿ كَمَا قَالَ عَنْهُمْ وَعَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٧٦) .
أي لن يأنف^(٧٧) ، وقيل لن يحتشم المسيح أى يكون عبداً يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون^(٧٨) .

المسألة الثانية : تقرير القرآن لعبودية الجن لله عزوجل :

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن عبودية الجن لله عزوجل ، وكشف لنا صوراً من عباداتهم له سبحانه وتعالى ، فقد ذكر القرآن :

أ- إيمان بعض الجن بالله عزوجل وتوحيدهم له ، ونفيهم الشرك عنه ، كما جاء في قوله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ رَبَّنَا أَحَدًا ۖ ﴾^(٧٩) وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ جُذُوبًا مَّا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۖ ﴿^(٨٠) . ومعنى (جد ربنا) أي أمره وعظمته ، وقيل ، وقيل غناه وقدرته ، وقيل جلاله ، وقيل ذكره^(٨١) وغير ذلك من الأقوال .

ب- وذكر القرآن استماع بعض الجن للقرآن وإيمانهم به ودعوتهم إليه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ ﴾^(٨٢) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿^(٨٣) يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿^(٨٤) ﴿^(٨٥) ، وكما جاء في قوله عزوجل : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ ﴾^(٨٦) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ رَبَّنَا أَحَدًا ۖ ﴿^(٨٧) .

لقد سجل القرآن الكريم مقالة الجن الدالة على عبادتهم لله وعبوديتهم له قائلين : ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾^(٨٨) . وقائلين : ﴿ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾^(٨٩) أي مسلمين وكافرين بأهواء مختلفة^(٩٠) .

المسألة الثالثة : تقرير القرآن لعبودية الحيوانات والدواب لله عز وجل :

كما أخبرنا الله عز وجل عن عبودية غير الإنسان من المخلوقات العاقلة من الملائكة والجن فقد أخبرنا أيضاً عن عبودية غير الإنسان من المخلوقات غير العاقلة - كما تعارف عليه الناس - لكنها المدركة المميزة التي تحس بالأشياء وتعبّر عنها - كما سبق إثباته - حيث تكلم القرآن عن:

أ- سجود الدواب لله عز وجل : قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٨٦) وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾^(٨٧) وقد اختلف المفسرون في معنى سجود دواب الأرض وحيواناتها لله ، فقول :

- ١- هو العبادة والطاعة لله - بشكل عام - طوعاً أو كرهاً^(٨٨) .
- ٢- وقيل هو دلالة المخلوقات على الله ودعوتها إليه أو هدايتها إليه^(٨٩) .
- ٣- وقيل هو خضوعها له واستلامها لأمره^(٩٠) وانقيادها له^(٩١) .
- ٤- وقيل هو الصلاة لله^(٩٢) .
- ٥- وقيل هو خشوعها له^(٩٣) .
- ٦- وقيل المقصود بالسجود أي وجوب الإتيان به لكن القرآن عبر عن الوجوب بالوقوع^(٩٤) .
- ٧- وقيل هو التعظيم والتبجيل لله وتكبيره والاعتراف بالعبودية له^(٩٥) .
- ٨- وقيل هو الإقرار بوحداية الله^(٩٦) .
- ٩- وقيل هو التذلل لله ، والتسخير لما أَرَادَهُ سبحانه^(٩٧) .
- ١٠- وقيل هو نفوذ مشيئة الله وقدرته في جميع مخلوقاته وعدم امتناعها ، ومن ذلك دواب الأرض وحيواناتها^(٩٨) .
- ١١- وقيل هو الافتقار إلى الله عز وجل^(٩٩) .

وغير ذلك من الأقوال ، ويبدو - والله أعلم - أن الراجح من هذا كله هو أن المقصود بالسجود بالنسبة للعاقل من إنسان وملك وجان هو السجود الحقيقي بمعنى وضع الجبهة على الأرض طاعة لله ، والسجود لغير العاقل هو الخضوع والتعظيم والانقياد لله عز وجل ، ونفاذ مشيئته وأوامره فيه دون امتناع وهذا ما رجحه ابن جزى الكلبي ، وابن عاشور ، وغيرهما^(١٠٠) ، بينما الأمر يختلف في التسبيح كما سيتبين لنا في الفقرة التالية. والشاهد أن الله تعالى أخبرنا عن سجود كل الدواب له عز وجل بطريقة يعلمها الله - سواء دواب الأرض فقط ، أو دواب السماوات أو جميعهما ، قال ابن جزى الكلبي في تفسيره (يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السماوات وما في الأرض معاً ، لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن يكون بيانا لما في

الأرض خاصة ...) (١٠١) وقال ابن عاشور : (ومعنى سجود الدواب لله أن الله تعالى جعل في تفكيرها الإلهامي التنازها بوجودها وبما هي فيه من المرح والأكل والشرب، وتطلب الدفع عن نفسها من المتغلب ومن العوارض بالمدافعة أو بالتوقي، ونحو ذلك من الملائمات، فحالتها لذلك كحال شاكر تيسر له تلك الملائمات لها، وإنما تيسرها لها ممن فطرها وقد تصحب أحوال تنعمها حركات تشبه إيماء الشاكر المقارب للسجود) (١٠٢).

ب- وتحدث القرآن عن تسبيح الطيور لله عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَفَتْ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١٠٣)

قال ابن جرير (إن الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق) (١٠٤) وقال ابن كثير (والطير صافات أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده ، بتسبيح ألهمها وأرشدوا إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة..) (١٠٥) وقال السعدي : (أي كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللاتقة به ، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح ؛ إما بواسطة الرسل كالجن والإنس والملائكة ، وإما بإلهام منه تعالى كسائر المخلوقات) (١٠٦) ... من الحيوانات الناطقة والصامتة) (١٠٧) فيفهم من أقوال المفسرين السابقة إما : أن الله تعالى علّم عبادات مخلوقاته له من تسبيح وصلاة ، أو أن هذه المخلوقات قد علمت كيف تصلي لله وتسبح له كما جاء في قوله تعالى ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١٠٨) أي لا تسمعون ذكرهم لله عز وجل (١٠٩) ، ولا تعلمون كيف يسبحون الله سبحانه وتعالى ، وقد اختلف المفسرون في معنى تسبيح غير العاقل لله بنحو ما شرحناه في فقرة سجود الدواب لله فيما سبق بيانه.

وقد ناقش الشوكاني ذلك بقوله : (والمراد بالتسبيح المسند إلى ما في السماوات والأرض من العقلاء وغيرهم ، والحيوانات والجمادات ، هو ما يعم التسبيح بلسان المقال ، كتسبيح الملائكة والإنس والجن ، وبلسان الحال كتسبيح غيرهم ، فإن كل موجود يدل على الصانع) (١١٠).

نفهم من قول الشوكاني رحمه الله ، أن تسبيح غير العاقل من المخلوقات هو تسبيح دلالة على الخالق سبحانه وتعالى. لكن الزجاج أنكر ذلك وقال: لو كان هذا تسبيح الدلالة، وظهور آثار الصنعة لكأنت مفهومة ، فلم

قال : (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) وإنما هو تسبيح مقال ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١١١)

فلو كان هذا التسبيح من الجبال تسبيح دلالة ، لم يكن لتخصيص داود فائدة (١١٢).

والذي نرجحه والله أعلم - أن تسبيح المخلوقات غير العاقلة هو تسبيح حقيقي بلسان المقال، بدليل نص الآية التي استشهد بها الزجاج ، ولأننا لاندرك حقيقة هذا التسبيح القولي ، أخرنا تعالى بقوله : (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ)

تَسْبِيحَهُمْ)، وقد رجح هذا القرطبي^(١١٣) ولكن هذا لا ينفي ما قاله الشوكاني من تسبيحها بلسان الحال ، فهي دالة على وجود خالقها وعلى كثير من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

وعليه : فتسبيح غير العاقل لله تسبيح مقالي بصورة رئيسة ، وتسبيح حالي بصورة ثانوية.

ج- وسجل القرآن الكريم مواقف هدهد سليمان عليه السلام الدالة على عبوديته لله عزوجل ، كإنكاره

الشرك الواقع من ملكة سبأ وقومها قائلًا : ﴿ وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾^(١١٤) ، ودعوته لعبادة الله وتوحيده قائلًا : ﴿

أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^(١١٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿^(١١٦) قال الشعراوي : (كأن الهدهد عارف لقضية التوحيد ، وقضية الإيمان ،

بدليل أنه غضب ، ثم يقول : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١١٦) ، إذا فهو

يعرف من الذي يستحق السجود^(١١٧) . والمقصود بالخبيء هنا هو الخفي من الأمور ... وخبء السماء مطرها ، وخبء الأرض كنوزها ونباتها^(١١٨).

وهكذا لا يزال القرآن الكريم يحدثنا عن عبودية غير الإنسان لله عزوجل ، ومن ذلك عبودية النبات كما يلي

- المسألة الرابعة : تقرير القرآن لعبودية النبات والشجر لله عزوجل :

حدثنا القرآن الكريم عن عبودية النبات والشجر لله عزوجل فأخبر عن سجودها لله عزوجل كما قال

سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ

وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾^(١١٩) وقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ

يَسْجُدَانِ ﴾^(١٢٠)

قال ابن عاشور : (والنجم يطلق اسم جمع على نجوم السماء ... ويطلق على النبات والحشيش الذي لا سوق

له ، فهو متصل بالتراب ... والسجود يطلق على وضع الوجه على الأرض بقصد التعظيم ، ويطلق الوقوع

على الأرض مجازاً مرسلًا بعلاقة الإطلاق ، أو استعارة ، ومنه قولهم نخلة ساجدة إذا أمالها حِمْلُهَا ، فسجود

نجوم السماء نزولها إلى جهات غروبها ، وسجود نجم الأرض لتصاقه بالتراب كالساجد ، وسجود الشجر

تَطَاطُؤُهُ بهبوب الرياح ودُّنُوْ أَغْصَانِهِ للجنانين لثماره ، والخابطين لورقه ، ففعل (يسجدان) مستعمل في معنيين

بجازين ، وهما الدنو للمتناول ، والدلالة على عظمة الله تعالى ، بأن شَبَّه ارتسام ظلالهما على الأرض

بالسجود^(١٢١) وقال سيد قطب : (والسياق القرآني يعبر عن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود - وهو

أقصى مظاهر الخضوع-)^(١٢٢) وقال : (ويتدبر القلب هذا النص ، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان

ومما لا يدرك ، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم ، وإذا حشد من الجبال والشجر

والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان ، إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله وتتجه إليه وحده دون سواه ... (١٢٣) .

وكما تحدث القرآن الكريم عن سجود الشجر والنبات لله عزوجل ، فقد شمل في حديثه عن تسبيح الكائنات لله ، تسبيح النبات والشجر كما سبق شرحه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١٢٤) وكما يدل عليه عموم قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٥) وقوله سبحانه : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٦) وغيرها من الآيات .

المسألة الخامسة : تقرير القرآن لعبودية الجبال والأحجار لله عزوجل :

لم تزل آيات القرآن تكشف لنا عبودية المخلوقات لله — ما عدا الإنسان — ومن ذلك ما جاء عن عبادات الجبال والأحجار ، حيث تحدث سبحانه عن :

أ- سجود الجبال لله عزوجل ، كما جاء فيما سبق شرحه في قوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ ﴾ (١٢٧) وقال : ابن كثير : (وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمال) (١٢٨) .

ب- وتحدث عن تسبيح الجبال لله سبحانه وتعالى ، كما جاء في قوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١٢٩) وقوله تعالى : ﴿ يَسْجُدُ لَكَ الْجِبَالُ أَوَّيَّ مَعَهُ ﴾ (١٣٠) أي سبّح معي (١٣١) وكما جاء في قوله أيضاً : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (١٣٢) لقد ترادفت آيات القرآن المؤكدة لتسبيح الجبال لله ، بل المبيّنة لأوقات تسبيحها له سبحانه وتعالى ، قال القرطبي عن تسبيح الجبال مع داود عليه السلام : (ذكر الله تعالى ما آتاه من الرهان والمعجزة، وهو تسبيح الجبال معه ، قال مقاتل كان داود عليه السلام إذا ذكر الله عزوجل ذكرت الجبال معه ، فكان عليه السلام يفقه تسبيح الجبال ... وذلك التسبيح مقالٌ على الصحيح من الأقوال ، وكان عند طلوع الشمس وعند غروبها ... وكان داود إذا وجد فترةً أمر الجبال فسبّحت حتى يشناق ، ولهذا قال تعالى : (وكنا فاعلين) مؤكّد لقوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ والموجب لهذا التأكيد أن تسخير الجبال وتسبيحها أمر عجب ، خارق للعادة ، مظنة (أن يكذب به الكفرة والجهلة) (١٣٣) وقال الشوكاني (والتسبيح إما حقيقة وإما مجازاً ، قال بالأول جماعة وهو الظاهر ، وذلك أن داود عليه السلام إذا سبّح سبّحت الجبال معه ... ، وقال بالجزأ آخرون ، وجعلوا التسبيح على تسبيح من رآها ، تعجباً من عظيم خلقها ، وقدرة خالقها، وقيل : إنها كانت تسير مع

داود عليه السلام ، فكان من رآها تسير سبَّح^(١٣٤) وقال الشنقيطي : (والتحقيق أن تسبيح الجبال والطيور مع داود عليه السلام المذكور ، تسبيح حقيقي ، لأن الله جل وعلا يجعل لها إدراكات تسبح بها ، ويعلمها هو جل وعلا ، ونحن لا نعلمها ، كما قال تعالى : ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غَفُورًا﴾^(١٣٥) .

ج- وتحدث القرآن عن خشية الجبال والأحجار من الله ، وخشوعها له ؛ قال تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَأَكَّدُ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٣٦) .

وقال عن الأحجار الصماء : ﴿وَلَنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَلَنْ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَلَنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١٣٧) .

قال القرطبي : (ما تردى حجر من رأس جبل ، ولا تفجر نهر من حجر ، ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله ، نزل بذلك القرآن الكريم)^(١٣٨) وقال : لا يمتنع أن يعطي الله بعض الجمادات المعرفة فيعقل^(١٣٩) ، وقال الألوسي (يجوز أن يخلق الله تعالى العقل والحياة في الحجر ، وظواهر الآيات ناطقة بذلك)^(١٤٠) .

إن مما يؤكد خشية الجبال من الله وخشوعها له ، وشدة خوفها مما يسخطه ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾^(١٤١) وما جاء في قوله تعالى : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾^(١٤٢) ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾^(١٤٣) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾^(١٤٤) . قال السعدي (أي تتصدع السماوات وتندك الجبال من أجل هذه الدعوى القبيحة)^(١٤٥) .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم قد كشف لنا عبادة الجبال لله ، بسجود وتسبيح وخضوع وخشية وغير ذلك مما يدل على تحقق عبوديتها لله عز وجل وعبادتها له سبحانه وتعالى .

المسألة السادسة : تقرير القرآن لعبودية الظواهر الجوية من رياح وسحاب ورعد لله عز وجل :

تحدث القرآن الكريم عن عبودية الظواهر الجوية لله عز وجل من رياح وسحاب ورعد ، فسجل سبحانه عبودية الريح المطبوعة لأمر الله المنقادة لمشيئته وإرادته في كل وقت وحين وفي عهد سليمان عليه السلام قائلاً : ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ذُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾^(١٤٦) وذكر خضوعها وامتثالها مع السحاب لأمر الله قائلاً : ﴿وَنَصْرَفِ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٤٧) وكشف لنا عن تسبيح الرعد

لله عز وجل، وامثال الصواعق لأمر الله، فقال سبحانه: ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾^(١٤٦) ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد: (سيحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته)^(١٤٧)، قال الشوكاني (أي يسبح الرعد نفسه بحمد الله، أي مُتَلَبِّساً بحمده)^(١٤٨) وقال سيد قطب: (...) وقد يكون المدلول المباشر للفظ يسبح هو المقصود فعلاً، ويكون الرعد يسبح فعلاً بحمد الله، فهذا الغيب الذي زواه الله عن البشر، لا بد أن يتلقاه البشر بالتصديق والتسليم، وهم لا يعلمون من أمر هذا الكون، ولا من أمر أنفسهم إلا القليل^(١٤٩)، ومن المفسرين من أول معنى الآية على حذف مضاف أي: ويسبح سامعوا الرعد بحمده^(١٥٠).

المسألة السابعة: تقرير القرآن لعبودية أجرام السماء وظلال الأشياء لله عز وجل :-

كما قرر القرآن الكريم عبودية الظواهر الجوية فقد قرر أيضاً عبودية أجرام السماء من شمس وقمر ونجوم وما ينتج عن ضوء الشمس وسراجها من ظلال للأشياء، حيث أخبر تعالى عن:

أ- سجودها لله فقال سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾^(١٥١)، وقال سبحانه: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(١٥٢) ومن معاني النجم هنا نجم السماء^(١٥٣)، وقد أشرنا إلى معنى السجود للكائنات غير العاقلة فيما سبق.

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً الصحابة: (أتدرون أين تذهب الشمس؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها، تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارفعي، إرجعي من حيث جئت، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها)^(١٥٤)، وفي رواية أخرى (فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها)^(١٥٥) ولا شك أن سجود الشمس هذا بطريقة وكيفية لا يعلمها إلا الله، وقد يكون كما شرحناه فيما سبق في معنى سجود غير الإنسان لله عز وجل، قال أبو العالية: (ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجداً حتى يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعها)^(١٥٦).

وكما أخبر سبحانه وتعالى عن سجود أجرام السماء من شمس وقمر ونجوم، فقد أخبرنا كذلك عن سجود ظلال الأشياء له سبحانه وتعالى: حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(١٥٧) ودعا خلقه إلى تأمل هذا السجود قائلاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَخُوا فِيهِ ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالسَّمَاءِ لِبِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾^(١٥٨) قال المفسرون: (إذا فاءت الظلال، ظلال كل شيء بالغدو سجدت لله، وإذا فاءت بالعشي سجدت لله)^(١٥٩).

قال الألوسي : (سجداً لله أي منقاداً له تعالى ، جارية على ما أراد من الإمتداد والتقلص وغيرها ، غير ممتنعة عليه سبحانه فيما سخرها له ، وهو المراد بسجودها ، وقد يفسر باللصوق في الأرض أي حال كونها لاصقة بالأرض على هيئة الساجد) (١٦٠).

وعلى كل الأقوال فهو امتثال لله وخضوع له ، وانقياد لأوامره ومشيقته ، ودخول تحت قدرته سبحانه وتعالى ، وهذا كله إنما هو دليل على عبودية الظلال لله عزوجل .

ب- وأخبر تعالى عن امتثالها لأمر الله بتسخيرها للخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥٤ ﴾ (١٦١) .

وكما جاء في قوله عزوجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ١٦٢ ﴾ (١٦٢) والفلك هو : مجاري النجوم والشمس والقمر (١٦٣) ، ويتأكد امتثالها لأمر الله وخضوعها له بقوله سبحانه : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ١٦٤ ﴾ (١٦٤) فكون الشمس والقمر يمتثلان لله بالتسخير للخلق ، والجريان في فلكهما دون خلل أو تجاوز أو تقصير ، بل كما أمر الله وشاء ، وتحت إرادته وقدرته ، فهذا يدل على تمام استسلامها لله ، وتذللها له ولقدرته سبحانه وتعالى ، ونفس الأمر بالنسبة للنجوم التي قال تعالى عنها : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ١٦٥ ﴾ (١٦٥) فهي مطبوعة لله ممثلة أمره في تسخيرها للخلق للإهداء بها وغير ذلك من المنافع كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٦٦ ﴾ (١٦٦) ونحوها من الآيات (١٦٧) .

المسألة الثامنة : تقرير القرآن لعبودية السماوات والأرض بكل من فيهما وما فيهما لله عزوجل : لا تزال آيات القرآن الكريم تترى وتتوالى تارة بذكر عبودية المخلوقات لله عزوجل تفصيلاً - كما سبق بيانه - وتارة بذكر عبوديتها لله إجمالاً ، كما جاء في حديثه سبحانه عن خلق السماوات والأرض التي هي كما وصفها عزوجل بقوله : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧ ﴾ (١٦٨) حيث تحدث سبحانه وتعالى عن :

أ- تمام طاعتها وامتثالها لأمر الله تعالى بشكل عام ، فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ ﴾ (١٦٩) ، وتحدث عزوجل عن :
ب- تسبيحهما لله عزوجل قائلاً : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ ١٧٠ ﴾ (١٧٠) . وتحدث عن :

ج- تسبح ما فيهما - لله عزوجل - سواء في الماضي كما في قوله سبحانه : ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾^(١٧١) ، أو في الحاضر كما في قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ②﴾^(١٧٢) هذا لغير العاقل ، وللعاقل قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ③﴾^(١٧٣) . وهذا معناه دوام تسبيحها لله ، وتزيتها له ، وأزلية ذلك منذ خلق الله الكون ، واستمرار تسبيحها له ، وتجدد ذلك كل وقت وحين إلى ما شاء الله ، ما دامت السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن موجود ، فالكون كله عابد لله مسبح له في الماضي والحاضر والمستقبل ، قال صاحب تفسير اللباب : ((وجاء في بعض الفواتح (سبح) بلفظ الماضي ، وفي بعضها بلفظ المضارع ، وذلك إشارة إلى أن هذه الأشياء مسبحة في كل الأوقات ، لا يختص بوقت دون وقت ، بل هي مسبحة أبداً في الماضي ، وستبقى مسبحة أبداً في المستقبل))^(١٧٤) وتحدث عن :

د- طاعتها لله فيما أمرها به بشكل خاص كتوقيف السماء لأمطارها ، وابتلاع الأرض لمياهها ، كما جاء في قوله عزوجل عن طوفان نوح عليه السلام : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَتَسْمَأِي أَلْبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُصِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ④﴾^(١٧٥) وكما جاء في حديثه سبحانه عن حال الأرض يوم القيامة امتثالاً لربها قائلاً سبحانه : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ⑤﴾^(١٧٦) . وتحدث عن :

هـ- حمد الكون كله لله يوم القيامة ، كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَقُصِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥﴾^(١٧٧) .

قال ابن كثير : (أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه على رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد)^(١٧٨) وكما تناول القرآن عبودية السماوات والأرض لله عزوجل فقد أشار إلى عبودية نار الدنيا كما يلي :

المسألة التاسعة : تقرير القرآن لعبودية نار الدنيا لله عزوجل :

قرر القرآن الكريم عبودية نار الدنيا لله عزوجل ، واستجابتها لأمره القائل في قصة حرق إبراهيم عليه السلام : ﴿قُلْنَا بِنَارِ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ⑦﴾^(١٧٩) وكذلك كانت برداً وسلاماً على إبراهيم قال القرطبي : (قال بعض العلماء جعل الله فيها برداً يرفع حرّها ، وحرّاً يرفع بردها ، فصارت سلاماً عليه)^(١٨٠) ، وهذه الاستجابة منها لله عزوجل تمثل صورة من صور الطاعة والانقياد لله عزوجل ، مما يؤكد عبوديتها له سبحانه وتعالى .

قال الشنقيطي : (... فدل ذلك الإحراق دلالة قاطعة على أن التأثير حقيقة إنما هو بمشيئة خالق السماوات والأرض ، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب ، وأنه لا تأثير لشيء من ذلك إلا بمشيئته جل وعلا^(١٨١) .

وعموماً فإن استجابة النار لأمر ربها بأن كانت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ويدل دلالة قاطعة على امتثالها لأمر الله ربها خالقها ومالك أمرها ومدير شؤونها ، وهل هذه الاستجابة إلا عبودية لرب العالمين ؟ وبعد ، هذه تقريباً هي أهم الآيات التي قرر فيها القرآن عبودية غير الإنسان لله عز وجل ، ويقتضي أن نستنبط المنهج القرآني الذي سارت عليه الآيات لبيان عبودية غير الإنسان لله عز وجل ، كما يلي :-

المطلب الرابع : أساليب القرآن في بيان عبودية غير الإنسان لله عز وجل :

بعد هذا العرض المفصل لنصوص القرآن المقررة لعبودية غير الإنسان لله عز وجل ، وبعد التأمل فيما يمكن القول إن القرآن الكريم قد اعتمد في بيانه لعبودية غير الإنسان لله عز وجل على عدة أساليب يمكن توضيحها في المطالب التالية :-

المسألة الأولى : منهج القرآن الكريم بإيمان غير الإنسان بالله عز وجل بشكل عام :

اتضح هذا في بعض كلام الله حيث ذكر سبحانه ما يؤكد اعتراف غير الإنسان بالله ، وإيمانه به ، وشهادته له بالتوحيد ، كما في حديثه سبحانه عن الملائكة مما سبق شرحه في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾^(١٨٢) أي شهدوا له بالألوهية وتفرد به بذلك سبحانه ، وكما في قوله عز وجل عن حملة العرش : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾^(١٨٣) أي يؤمنون بالله .

ومثل هذا تصريحه بإيمان الملائكة بالقرآن كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^(١٨٤) .

ومثله أيضاً تصريحه بإسلام من في السماوات والأرض كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(١٨٥) . قال القرطبي : (أي استسلم وانقاد وخضع وذل ، وكل مخلوق فهو منقاد مستسلم ، لأنه مجبول على ما لا يقدر أن يخرج عنه)^(١٨٦) .

وقال البغوي : (أسلم أهل السماوات طوعاً ، وأسلم من في الأرض بعضهم طوعاً وبعضهم كرهاً ، خوفاً من السيف والسيوف ... وقيل : هذا يوم الميثاق حيث قال لهم ألسن بربكم قالوا بلى ... ، وقال الكلبي طوعاً الذي ولد في الإسلام ، وكرهاً الذين أجبروا على الإسلام ممن يُسبى منهم ، فيجاء بهم في السلاسل...) ^(١٨٧) .

المسألة الثانية : ذكر القرآن الكريم لعبادات غير الإنسان لله عز وجل : وتفصيله لذلك بشكل خاص :-
كما تناول القرآن الكريم عبودية غير الإنسان لله عز وجل بصورة إجمالية عامة ، وتحدث عن إيمان المخلوقات بالله بشكل عام ، فقد ذكر عبودتها له عز وجل بشكل خاص ، وفصل في ذكر مظاهر تعبدتها لله سبحانه وتعالى ، وهذا أكثر ما ورد في القرآن الكريم ، فقد استفاد بذكر آيات تسبيح المخلوقات لله عز وجل ، وتحدث عن سجودها لربها ، وعن دعائها واستغفارها لخالقها ، وعن صلاتها له عز وجل ، وعن امتثالها لربها وخضوعها له لتنفيذ فيها مشيئته وقدرته بتسخيرها للخلق ، وأداء وظيفتها التي خلقت لأجلها ، وتكلم عن خوفها من الله وإشفاقها منه ومن حمل تكاليفه التي حملها الإنسان ، وعن خشيتها وخشوعها لكلامه ، وأشار إلى حمد الكون كله لله عز وجل يوم القيامة.. الخ.

لقد تناول القرآن الكريم هذا كله ، وتحدث عن جزئيات العبادة وتفصيلاتها وصورها لجميع مخلوقاته من غير الإنسان - العاقلة منها كالملائكة والجن ، وغير العاقلة كدواب الحيوان والطيور ، والجال والرياح والسحاب والرعد ، وأجرام السماء من شمس وقمر ونجوم ، والسموات والأرض بكل من فيهما وما فيهما وما علاهما ، وغير ذلك مما خلق الله ، تحدث عنها القرآن بشكل خاص ، وفصلها بطريقة تثبت وتؤكد عبوديتها لله عز وجل ، وتبين صور تلك العبادة ، وقد سبق ذكر شواهد هذا كله بما يغني عن إعادته هنا .

المسألة الثالثة : تصوير القرآن الكريم وتصويره لمشاهد ومواقف تعبد غير الإنسان لله عز وجل :
وهذا واضح في تناول آيات القرآن الكريم لعبادات المخلوقات من غير الإنسان فقد صور عبادة الملائكة لربهم

قبل خلق آدم عليه السلام قائلين : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾
(١٨٨) ويوم القيامة وهم يعتذرون لربهم عن عبادة البشر لهم أو للجنة قائلين : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ هُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ (١٨٩)

وصور عبادتهم بعد فصل القضاء يوم القيامة ووصفهم بأنهم ﴿ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾
(١٩٠) وذكر أنهم ﴿ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (١٩١) وكشف أنهم يدعون للمؤمنين قائلين ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٩٢)
بل كشف لنا أنهم لكثرتهم وهم ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٩٣) تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن .

وكما صور القرآن عبادة الملائكة لله ، فقد كشف لنا حال الجن وهم يعلنون إيمانهم بالله ويكتبونه ويتبرؤون من الشرك بالله قائلين : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ ۝ وَأَنَّهُ تَقَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۖ ۝ ۞ ﴾ (١٩٤) .

وصور نماذج من عبادة الهدد لله عزوجل وهو يستعظم شرك ملكة سبأ وقومها بالله وينكر ذلك ، ثم صورّه وهو يدعو للسجود لله عزوجل ، ثم وهو يلقي كتاب سليمان عليه السلام إلى ملكة اليمن حينها يدعوهم فيها إلى الاستسلام لرب العالمين كما قال تعالى على لسان سليمان موجهًا الهدد ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝ ۞ ﴾ (١٩٥) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّهُ لَأَقْبَىٰ كِتَابِي كَرِيمٍ ۝ ۞ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ ۞ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُؤِي مُسْلِمِينَ ۝ ۞ ﴾ (١٩٥) .

المسألة الرابعة : نفى القرآن الكريم استكبار غير الإنسان عن عبادة الله أو تقصيره في ذلك :

كما أن القرآن الكريم قد قرر عبادة غير الإنسان لله عزوجل وإيمانه به بصورة مجملة وبشكل عام ، وذكر صور عبادته لله تفصيلاً ، وصور شيئاً من مشاهد تلك العبادة وأحداثها ، فإنه أيضاً قد أثبت عبودية غير الإنسان لله عزوجل ، من خلال نفيه لاستكبار غير الإنسان عن عبادة الله ، أو تقصيره في ذلك ، ويتضح هذا كثيراً في حديثه سبحانه عن عبادة الملائكة وعبوديتهم لله ، فقد نفى عنهم استكبارهم عن عبادته قائلًا : ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۖ ۞ ﴾ (١٩٦) ونفى عنهم أي استكبار عن عبادة الله ، بل وبرأهم من أي فتور أو عجز أو كسل أو سأم وملل من عبادة الله ، حيث وصفهم قائلًا : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۖ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۖ ۞ ﴾ (١٩٧) وقائلًا : ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۖ ۞ ﴾ (١٩٨) .

فقد نفى سبحانه عن ملائكته إباءهم أو تكبرهم عن عبادته ، أو استحسارهم منها ، ومعنى (لا يستحسرون) أي لا يرجعون وقيل لا يعيرون لا يحسرون (١٩٩) ، وقيل لا ينقطعون من العبادة (٢٠٠) ، وقيل لا يستريحون (٢٠١) ، ونفى سبحانه عنهم الفتور والسأم فقال (لا يفترون) وقال : (لا يسأمون) وكله كما قال الطبري معناه واحد (٢٠٢) ، فلا سأم نفسي ولا فتور عضوي ، بل تمام التعب لله عزوجل بكل رغبة ونشاط وهمة فقد ألهموا التسبيح كما ألهم بنو آدم النفس (٢٠٣) .

وكما نفى الله استكبار الملائكة عن عبادته ، فقد نفى أيضاً تقدمهم عليه سبحانه وتعالى بأي أمر (٢٠٤) من قول أو فعل كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۖ ۞ ﴾ (٢٠٥) .

ونفى سبحانه وتعالى وقوع أي مخالفة كونية للإرادة الإلهية في خضوع الكون لله ، واستسلام ما فيه له ، وجريانه وفق إرادته ومشيتته عز وجل ، دون خلل أو تقصير أو تجاوز ، كما يتضح من قوله تعالى عن الشمس والقمر ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢٠٦) أي يسرون أو يجرون كما قدر الله وما شاء فعل فهو سبحانه الذي (خلق فسوى) (٢٠٧) وهو الذي (قدر فهدى) (٢٠٨) ولا راد لحكمه ، ولا معقب لقضائه ، ولا معطل لأمره عز وجل ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) (٢٠٩) وهكذا الكون كله خاضع لإرادة الله ومشيتته طوعاً أو كرهاً ، كما سبقت الإشارة إليه.

المسألة الخامسة : تسجيل القرآن لاعتراف غير الإنسان بعبادته لله عز وجل

اشتمل القرآن الكريم على آيات مباركات سجل فيها المولى عز وجل حديث بعض المخلوقات - من غير الإنسان - عن عبادتها لله سبحانه وتعالى ، من ذلك ما قالته الملائكة عن قيامهم لله ودوام تسبيحهم له ، كما قال سبحانه على لسان جبريل عليه السلام : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (١٦٤) ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ (١٦٥) ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ (٣١٠) ومعنى الصَّافُونَ : أي صفوف في السماء (٣١١) أو السماوات للصلاة (٣١٢) ، قال صلى الله عليه وسلم : (ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول الملائكة عليهم السلام وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون) (٣١٣) ، ومن ذلك أيضاً أي حديث الملائكة عن عبادتها لله ما جاء في قوله تعالى على ألسنتهم ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٢١٤).

ومن حديث غير الإنسان عن عبادته لله ما سجله القرآن عن مقالة الجن ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرَيْنِ الْغَيْبِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِلَى الرَّشِدِ فَتَمَنَّى بِهِ وَكُنْ شَرِكاً بِرَبِّنَا أَحَقَّ ﴾ (٢١٥) ﴿ وَأَنَّهُ قَعَلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (٢١٦) . وقولهم ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ (٢١٧) وقولهم ﴿ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ﴾ (٢١٨) . ومن ذلك تسجيله سبحانه وتعالى لقول السماوات والأرض رداً على أمر الله القائل : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (٢١٩) .

المسألة السادسة : تقرير القرآن عبادة غير الإنسان لله ونفيه علم البشر بذلك وفقهم له -

سبق ذكر كثير من الآيات القرآنية التي قرر الله فيها عبادات غير الإنسان لله عز وجل ، وعبوديتها له ، إلا أن الله تعالى في بعض هذه الآيات بعد أن يقرر عبادة هذه المخلوقات يتبعها بنفي علم الإنسان بذلك ، أو فقهه له ، مبيناً عدم إدراكه لصور تعبدها لله عز وجل ، جاء هذا في ذكره سبحانه تسبيح الكون كله لله بمن فيه وما فيه قائلاً : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٢٢٠) ، ويعتبر نفي الله لعلم البشر

بعبادات غيرهم لله عزوجل هذا النفي بحد ذاته هو تقرير ضمني يؤكد عبادتها لله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧) ﴿٢٢٠﴾ .

المسألة السابعة : ضرب القرآن الأمثلة لبيان عبودية غير الإنسان وعبادته لله :

تعددت صور وأساليب وموضوعات ضرب الأمثلة في القرآن الكريم ، لحكم معينة ، ومن ذلك ، ما ضربه القرآن من أمثلة عن خشوع غير الإنسان لله عزوجل وخشيته له وشدة خوفه منه ، وتأثره بكلامه ، جاء هذا في حديثه سبحانه عن خشية الجبال لله ، وهي مضرب المثال في العلو والقوة والصلابة والتماسك والكبرياء ، ورغم هذا كله فإنه سبحانه يقول عنها وهي غير الإنسان العاقل المخلوق من نطفة ودم ولحم ، الضعيف المقهور : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَةً مِّنْ مَّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٨٨) ﴿٢٢١﴾ فأثبت للجبل الخشوع والخشية لله عزوجل ، فظهر ذلك على كيانه فأصبح يتصدع ويتشقق من خشية الله قال الطبري (يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها ، فينبووا وينقادوا للحق... يقول تعالى ذكره : الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس هو المعبود) ﴿٢٢٢﴾ وقال القرطبي : (والخاشع : الذليل ، والمتصدع : المتشقق) ﴿٢٢٣﴾ .

ومثل هذا ما جاء في حديث القرآن عن شرك المشركين بالله واعتقادهم وجود ولد له ، وإنكاره ذلك عليهم ، وتعظيمه لهذا المنكر حيث جاءت آيات القرآن لرفض ذلك بشدة ، وتعظيم خطئه وجرمه ، فضربت المثال بأعظم شيء خلقه الله عزوجل ، وجعله عابداً له ، بالسموات والأرض والجبال ، حيث أثبت سبحانه وتعالى لها شدة الخوف من الله ، ومن الشرك به ، ومن ادعاء الولد له عزوجل ، فقال تعالى : ﴿وَقَالُوا أَتُخَذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٩) ﴿٢٢٤﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٩٠) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ (٩١) ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩٢) ﴿٢٢٥﴾ .

وبضرب القرآن لهذه الأمثلة يحقق العظة والعبرة لكل ذي عقل ، ويؤكد عبودية أعظم المخلوقات لله عزوجل ، وقبل أن نختم هذا البحث أقول :-

لقد دعانا الله عزوجل في قرآنه إلى التفكير في آياته الكونية ، والتدبر لآياته القرآنية ، قائلاً : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٩٣) ﴿٢٢٥﴾ وقائلاً : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٤) ﴿٢٢٦﴾ وقائلاً : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٩٥) ﴿٢٢٧﴾ وما ذلك إلا لتذكير الغافل ، وتعليم

الجاهل ، وترسيخ الإيمان ، واكتشاف آيات الله في كونه للاستدلال بذلك على استحقاقه توحيد الربوبية والألوهية ، ومعاني كثير من أسمائه وصفاته ، وتوحيده في ذلك .

وبالتدبر في آيات عبودية غير الإنسان لله عز وجل ، يكتشف المخلوق الضعيف الإنسان وجود من هو أعبد منه لله وأعظم عبادة له ، وإيماناً به ، واشتغالاً بذكره ، كالملائكة ، بل يكتشف خضوع وسجود وتسبيح الكون كله بما فيه ومن فيه لله عز وجل ، فيستشعر تقصيره في حق الله ، ويزداد تعظيمه له ، وتقديره لقدره سبحانه وتعالى .

ويستأنس بعبودية وعبادة غيره لله ، ويتعامل مع هذا الكون المسبح الساجد القانت لله عز وجل ، بوحدة كونية ، وتآلف تعبدية ، وشعور داخلي عظيم أنه جزء من هذا الكون الفسيح العظيم العابد لله ، ويستعظم جرم من كفر بالله ووجد به ، أو عصاه وخالف أمره ، فلا يملك إلا أن يسير مع الكون في ركب التوحيد والإيمان ، والخضوع والانقياد ، مضيفاً لذلك كمال الحب مع كمال التذلل .

بل يحافظ على الكون بمن فيه وما فيه قدر الإمكان ، فلا يفسد فيه ، ولا يتسبب بقطع عبادة شيء من الكون عاقل وغير عاقل ، بعد علمه أنه مؤمن بالله عابد لله ، بتسبيح وسجود ، وتحميد وركوع وخشية وخشوع ، وانقياد وخضوع .

وختاماً : هذا هو ما أمكن استنباطه من كشف منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان ، حيث خرج البحث بالنتائج التالية :

نتائج البحث :

١. كل ما في الكون - عاقل وغير عاقل - عابد لله خاضع له ، منقاد لمشيئته سبحانه ونفاذ وقدرته وإرادته دون امتناع منذ خلقه الله .

٢. تنقسم عبودية المخلوقات إلى ثلاثة أقسام كما يلي :-

أ- عبودية عامة هي عبودية الربوبية لكل المخلوقات بدون استثناء حتى الكفار .

ب- عبودية خاصة هي عبودية التأله والمحبة والطاعة ، وهي خاصة بالمؤمنين .

ت- عبودية خاصة الخاصة ، وهي عبودية الأنبياء والمرسلين .

أي هناك تعبد كوني لكل المخلوقات بشكل عام ، وتعبد شرعي لعقلاء المخلوقات من الملائكة والجن والإنس .

١. لغير الإنسان من جماد وحيوان ونبات وأكوان ، إدراك وتمييز وإحساس وكلام ، فهو يشبه الإنسان كثيراً .

٢. لكل عاقل غير الإنسان عبودية وعبادات لله عز وجل ، كالملائكة والجن ، ذكر القرآن نماذج منها .

٣. لغير العاقل من حيوانات ودواب وطيور ونبات وشجر وجبال وأحجار عبودية لله وعبادات لا يعلمها إلا الله .

٤. للظواهر الجوية من رياح وسحاب ورعد وظلال ، عبادة تحقق عبوديتها لله عز وجل ، لا يعلمها الناس ، كشفها القرآن الكريم .

٥. الكون كله بسمواته وأرضه بمن فيهما وما فيهما وما علاهما عابد لله عز وجل ، خاضع له ، ممتثل لأوامره .

٦. قرر القرآن الكريم عبودية كل ما سبق ، وكشف صوراً من ذلك كما يلي:-

أ-تارة بالتصريح بإيمانها بالله عز وجل واستسلامها له بشكل عام .

ب- وتارة بالتفصيل ، وذكر شيء من هذه العبادات بشكل خاص .

ج- وتارة بتصوير بعض مشاهد عبادتها الدالة على عبوديتها لله عز وجل .

د- وتارة بنفي استكبارها عن عبادة الله ، أو تقصيرها في ذلك .

هـ- وتارة بتسجيل اعترافها بعبادتها لله عز وجل .

و- وتارة بتقرير عبادتها وعبوديتها لله ، ونفي علم البشر بذلك .

ز- وتارة بضرب الأمثلة لبيان عبوديتها وعبادتها لله سبحانه وتعالى .

هذا هو منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان ، حيث ثبت لنا أن الكون كله بمن فيه وما فيه ، عابد لله عز وجل ، جبراً أو اختياراً ، طوعاً أو كرهاً ، بعبادات وتعبد كوني قهري عام ، أو عبادات وتعبد شرعي ديني طوعي خاص ، تتجلى من خلاله وحدانية الله عز وجل في ألوهيته وربوبيته وجميع أسمائه وصفاته.

توصيات :-

بناءً على النتائج السابقة فإن الباحث يوصي بما يلي :

١- ضرورة توعية كل عاقل بعبودية غير الإنسان لله ومعرفته له سبحانه وإيمانه به عز وجل لدفع العقلاء المميزين إلى تحقيق ما أمكن من التعبد لله سبحانه وتعالى .

٢- تناول البحث منهج القرآن الكريم في بيان عبودية غير الإنسان لله عز وجل ، واقتصر البحث على بيان عبودية الكائنات في دار الدنيا ، وما هناك عبودية المخلوقات في الدار الآخرة ، لم تأخذ حقها من البحث والدراسة ، وعليه فالباحث يوصي بدراسة ذلك لتكملة البحث .

هوامش البحث :

- (١) البقرة: ١١٦ .
- (٢) الإسراء: ٤٤ .
- (٣) لسان العرب ٣٠٠/١٤ ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .
- (٤) الكليات ص ٩١٣ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي .
- (٥) المعجم الوسيط ص ٩٥٧ لإبراهيم مصطفى وآخرين .
- (٦) لسان العرب لابن منظور ١٠/٩ .
- (٧) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ٥٩/١ ، عبدالحسن بن محمد القاسم .
- (٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٦٠/١ عبدالعزيز الراجحي (عبارة عن أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية) . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ٤١٣/١ سفر بن عبدالرحمن الحوالي .
- (٩) مريم: ٩٣ .
- (١٠) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢٠١/٢ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان .
- (١١) الفرقان: ٦٣ .
- (١٢) إعانة المستفيد للفوزان ٢٠١/٢ .
- (١٣) الإسراء: ٣ .
- (١٤) البقرة: ٢٣ .
- (١٥) شرح العقيدة الطحاوية للحوالي ١٩٧٠/١ .
- (١٦) الأنعام: ٣٨ .
- (١٧) تفسير القرآن ١٠١/١ أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني .
- (١٨) مفاتيح الغيب ٥٢٥/١٢ محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي .
- (١٩) كتفوق بعض الطيور والحيوانات على الإنسان في حاسة السمع أو الشم أو الرؤية وغير ذلك .
- (٢٠) الأحزاب: ٧٢ .
- (٢١) تنمة أضواء البيان ١٢/١ للشيخ عطية محمد سالم .
- (٢٢) لاجئ المدينة أي حترين تكتنفها ، واللاية هي الإبل المجتمععة السوداء ، أو الحجارة السوداء ، انظر : القاموس المحيط ١٣٧/١ ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. و : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ١١٣/٤ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج .

- (٢٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣١٠، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٣٧٢ وقد أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .
- (٢٤) الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ٥/١١ ، وأخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
- (٢٥) تنمة أضواء البيان ١٥٨ ، الشيخ عطية محمد سالم .
- (٢٦) موطأ مالك - رواية يحيى الليثي ٢/٨٨٩ ، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي ، وأخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
- (٢٧) النمل: ١٧ - ٢٦ .
- (٢٨) أي إن شعروا فلا يمكن أن يفعلوا ذلك ، فما بال أناس في هذا العصر يمشون مرحاً ، يطؤون بأقدامهم هوام الأرض ، أو يدهسونها بسياراتهم ، أطفالاً أو كباراً ، دون مبالاة ، وباستخفاف بالأرواح ، بل هنالك من يقتل جماعات من البشر ويدمر مدناً بأكملها ، وهو ينتشي بذلك ، دون خوف من الله أو رحمة إنسانية .
- (٢٩) النمل: ١٩ .
- (٣٠) النمل: ٢٨ .
- (٣١) النساء: ٨٧ .
- (٣٢) أخرجه البخاري في صحيحة ١/١٥٨ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
- (٣٣) أخرجه ابن حبان في صحيحة ٧/٧ انظر : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) ترتيب علي بن بلبان بن عبد الله (ت ٧٢٩هـ) .
- (٣٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٨٥ ، برقم ١٠٨٤ عن أبي لبابة انظر سنن ابن ماجه ، كتب حواشيه محمود خليل .
- (٣٥) أخرجه ابن ماجه في سننه ٤/١٧٣ ، برقم ٢٩٤٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما .
- (٣٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٥٧ .
- (٣٧) انظر مسند الإمام أحمد ٢/٢٧٢ وما بعدها .
- (٣٨) انظر سورة النمل آية ٨٢ .
- (٣٩) انظر صحيح البخاري ٤/٢١٢ ، كتاب بدء الوحي .
- (٤٠) انظر سنن ابن ماجه ١/١٥٠ .
- (٤١) انظر سنن أبي داود بتحقيق وتعليق الألباني ٤/٤٨٧ ، باب ما جاء في الديك والبهايم .
- (٤٢) انظر صحيح البخاري ٤/٢١٢ ، كتاب بدء الوحي .
- (٤٣) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/١٧٠ حديث المشايخ عن أبي بن كعب برقم ٢١٥٣٥ .

- (٤٤) انظر مسند الإمام أحمد ١/٢٦٦ ، مسند عبد الله بن العباس ، برقم ٢٤٠٠ .
- (٤٥) انظر صحيح مسلم ٧/٥٨ ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه .
- (٤٦) تنمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ١٥/١ .
- (٤٧) بل أثبت العلم الحديث وجود الإدراك والتمييز والإحساس في أشياء كثيرة جداً لا يتصورها الإنسان ، مثل كرات الدم البيضاء في جسم الإنسان ، والخلايا العصبية ، والنحل ، والنباتات ، وكثير من الحشرات .
- انظر : العلم يدعو للإيمان لكريسى موريسون ، الطب محراب الإيمان للدكتور خالص جلي ، آيات الله في الأكوام للنبلسي .
- (٤٨) آل عمران: ١٨ .
- (٤٩) جامع البيان للطبراني ٦/٢٧٠٦ .
- (٥٠) غافر: ٧ .
- (٥١) فصلت: ٣٨ .
- (٥٢) الأنبياء: ٢٠ .
- (٥٣) البقرة: ٣٢ .
- (٥٤) سبأ: ٤١ .
- (٥٥) الزمر: ٧٥ .
- (٥٦) الصفات: ١٦٤ - ١٦٦ .
- (٥٧) البقرة: ٣٠ .
- (٥٨) تفسير القرآن العظيم ١/٢٢١ ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .
- (٥٩) الأعراف: ٢٠٦ .
- (٦٠) النحل: ٤٩ .
- (٦١) النحل: ٥٠ .
- (٦٢) الأنبياء: ٢٨ .
- (٦٣) غافر: ٧ - ٩ .
- (٦٤) الشورى: ٥ .
- (٦٥) الأحزاب: ٤٣ . والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة وقيل رحمته ، والصلاة من الملائكة دعاؤها للمؤمنين واستغفارها لهم. انظر تفسير ابن كثير ٦/٤٣٦ .
- (٦٦) التحريم: ٦ .

- (٦٧) الأنبياء: ٢٧ .
- (٦٨) فصلت : ٣٠ .
- (٦٩) انظر الأنفال : ١٢ .
- (٧٠) انظر الزمر : ٧٣ .
- (٧١) انظر البقرة : ١٦١ .
- (٧٢) انظر الأنفال : ٥٠ .
- (٧٣) انظر الزمر : ٧١ ، الملك ٨-٩ .
- (٧٤) الأنبياء : ٢٦ .
- (٧٥) الأنبياء : ١٩ . وسأتي لتفسيرها فيما يلي من فقرات .
- (٧٦) النساء : ١٧٢ .
- (٧٧) تفسير مقاتل بن سليمان ١/٢٧٣ .
- (٧٨) تفسير ابن أبي حاتم ٤/١١٢٤ .
- (٧٩) الجن: ١ - ٣ .
- (٨٠) الدر المنثور للسيوطي ١٥/٨-٩ .
- (٨١) الأحقاف: ٢٩ - ٣١ .
- (٨٢) الجن: ١ - ٢ .
- (٨٣) الجن: ١١ .
- (٨٤) الجن: ١٤ .
- (٨٥) الدر المنثور للسيوطي ١٥/٢٢ .
- (٨٦) النحل: ٤٩ .
- (٨٧) الحج: ١٨ .
- (٨٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٩/٥٨ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
- (٨٩) جامع البيان في تفسير القرآن ١/٣ ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .
- (٩٠) نفس المرجع السابق ١٧/٢١٩ .
- (٩١) الجامع لأحكام القرآن ٤/١٢٧ للقرطبي .
- (٩٢) تفسير البغوي ١/١١١ ، انظر : معالم التنزيل للبغوي .
- (٩٣) مفاتيح الغيب ٨/٣٣٣ الإمام محمد بن عمر .

- (٩٤) نفس المرجع ٢٥/١٩ .
- (٩٥) نفس المرجع والصفحة .
- (٩٦) تفسير البحر المحيط ٢٤٦/٣ ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي .
- (٩٧) تفسير القرآن للسمعاني ٨٦/٣ .
- (٩٨) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/١٩ .
- (٩٩) نفسه ٢١٣/٢٣ .
- (١٠٠) انظر : التسهيل في علوم التزويل ١١٢٢/١ ، التحرير والتنوير ١٦٤/١٧ وروح المعاني للآلوسي ١٢٥/٩ وأيسر التفاسير للجزائري ٤٩٩/٢ .
- (١٠١) التسهيل لعلوم التزويل ٨٣٩/١ ، محمد بن أحمد جزى الكلي (ت ٧٤١هـ) .
- (١٠٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٣٧/١٣ .
- (١٠٣) النور: ٤١ ومثلها في الأنبياء ٧٩ وسبأ ١٠ .
- (١٠٤) جامع البيان للطبري ٣٣٣/١٧ .
- (١٠٥) تفسير ابن كثير ٧٢/٦ .
- (١٠٦) تفسير السعدي ٥٦٩/١ .
- (١٠٧) نفسه ٤٤٢/١ .
- (١٠٨) الإسراء: ٤٤ .
- (١٠٩) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٥٩/٢ ، .
- (١١٠) فتح القدير ١٤٣/٧ .
- (١١١) الأنبياء: ٧٩ .
- (١١٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/٣ ، ١٢١/٥ للزجاج .
- (١١٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٧ .
- (١١٤) النمل: ٢٤ .
- (١١٥) النمل: ٢٥ - ٢٦ .
- (١١٦) النمل : ٢٥ .
- (١١٧) تفسير الشعراوي ١٤٨٠/١ ، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) .
- (١١٨) المحرر الوجيز لابن عطية ١٦١/٥ .
- (١١٩) الحج: ١٨ .

- (١٢٠) الرحمن: ٦ .
- (١٢١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧/٢٢٢ .
- (١٢٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/٧٣٢١ .
- (١٢٣) نفسه ٤/٢٤١٤ .
- (١٢٤) الإسراء: ٤٤ .
- (١٢٥) الحشر: ٢٤ .
- (١٢٦) الحديد: ١ ، ونحوها في الحشر ١ ، والصف ١ .
- (١٢٧) الحج: ١٨ .
- (١٢٨) تفسير ابن كثير ٣/٢١١ .
- (١٢٩) الأنبياء: ٧٩ .
- (١٣٠) سبأ: ١٠ .
- (١٣١) تفسير عبدالرزاق الصنعاني ٣/٥٧ .
- (١٣٢) ص: ١٨ .
- (١٣٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٣١٩ ، ١٥/١٥٩ .
- (١٣٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٣/٤١٩ ، محمد بن علي الشوكاني .
- (١٣٥) الإسراء: ٤٤ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/٦٧٢ ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
- (١٣٦) الحشر: ٢١ .
- (١٣٧) البقرة: ٧٤ .
- (١٣٨) الجامع للقرطبي ١/٤٦٥ .
- (١٣٩) نفسه بتصرف يسير .
- (١٤٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١/٢٩٥ بتصرف يسير ، الآلوسي .
- (١٤١) الأحزاب: ٧٢ .
- (١٤٢) مريم: ٩٠ - ٩٢ .
- (١٤٣) تفسير السعدي ١/٥٠١ بتصرف يسير .
- (١٤٤) ص: ٣٦ .
- (١٤٥) البقرة: ١٦٤ .

- (١٤٦) الرعد: ١٣ .
- (١٤٧) أخرجه الإمام مالك في موطنه ٩٩٢/٢، برقم ١٨٠١ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .
- (١٤٨) فتح القدير للشوكاني ٧٢/٣ وفي مسند الإمام ٢٧٤/١ قال صلى الله عليه وسلم (الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب...) ، وحسن الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٧٢ .
- (١٤٩) في ظلال القرآن ٢٠٥١/٤ .
- (١٥٠) انظر فتح القدير للشوكاني ٩٦/٤ .
- (١٥١) الحج: ١٨ .
- (١٥٢) الرحمن: ٦ .
- (١٥٣) للفظ النجم الوارد في الآية معنى آخر سنأتي عليه فيما يلي من فقرات البحث .
- (١٥٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٩٦/١ برقم ٤١٨ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .
- (١٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٣/٩ أبي ذر الغفاري رضي الله عنه برقم ٧٤٢٤ .
- (١٥٦) جامع البيان للطبري ٤٨٧/١٦ .
- (١٥٧) الرعد: ١٥ .
- (١٥٨) النحل: ٤٨ .
- (١٥٩) تفسير الطبري ٢٤٠/١٤ .
- (١٦٠) روح المعاني ٣٩٣/٧ .
- (١٦١) الأعراف: ٥٤ .
- (١٦٢) الأنبياء: ٣٣ .
- (١٦٣) الدر المنثور للسيوطي ٢٧٥/١٠ .
- (١٦٤) يس: ٤٠ .
- (١٦٥) النحل: ١٢ .
- (١٦٦) الأنعام: ٩٧ .
- (١٦٧) النحل: ١٥ .
- (١٦٨) غافر: ٥٧ .
- (١٦٩) فصلت: ١١، ونحوها في سورة البقرة: ١١٦ . وآل عمران ٨٣، والروم ٢٦ .
- (١٧٠) الإسراء: ٤٤ .
- (١٧١) الحديد: ١ .

- (١٧٢) التغابن: ١ ، ونحوها في الحشر: ٢٤ ، والجمعة: ١.
- (١٧٣) النور: ٤١ .
- (١٧٤) تفسير اللباب ، لابن عادل ٤٨١٦/١ .
- (١٧٥) هود: ٤٤ .
- (١٧٦) الزلزلة: ٤ - ٥ .
- (١٧٧) الزمر: ٧٥ .
- (١٧٨) تفسير ابن كثير ١٢٥/٧ .
- (١٧٩) الأنبياء: ٦٩ .
- (١٨٠) الجامع للقرطبي ٣٠٤/١١ .
- (١٨١) أضواء البيان ٣٩٨/٣ بزيادة يسيرة .
- (١٨٢) آل عمران: ١٨ .
- (١٨٣) غافر: ٧ .
- (١٨٤) النساء: ١٦٦ .
- (١٨٥) آل عمران: ٨٣ .
- (١٨٦) الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/٤ .
- (١٨٧) تفسير البغوي ٦٣/٢ .
- (١٨٨) البقرة: ٣٢ .
- (١٨٩) الفرقان: ١٨ .
- (١٩٠) الزمر: ٧٥ .
- (١٩١) الأنبياء: ٢٨ .
- (١٩٢) غافر: ٧ - ٩ .
- (١٩٣) الشورى: ٥ .
- (١٩٤) الجن: ١ - ٣ .
- (١٩٥) النمل: ٢٨ - ٣١ .
- (١٩٦) النساء: ١٧٢ .
- (١٩٧) الأنبياء: ١٩ - ٢٠ .
- (١٩٨) فصلت: ٣٨ .

- (١٩٩) تفسير الطبري ٢٤٢/١٦.
- (٢٠٠) الدر المنثور للسيوطي ٢٦٣/١٠.
- (٢٠١) تفسير مقاتلين سليمان ٣٥٤/٢.
- (٢٠٢) جامع البيان ٢٤٣/١٦.
- (٢٠٣) الدر المنثور للسيوطي ٢٦٣/١٠.
- (٢٠٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٥٥/٢.
- (٢٠٥) الأنبياء: ٢٧.
- (٢٠٦) يس: ٤٠.
- (٢٠٧) الأعلى: ٢.
- (٢٠٨) الأعلى: ٣.
- (٢٠٩) يس: ٨٢.
- (٢١٠) الصافات: ١٦٤ - ١٦٦.
- (٢١١) الدر المنثور للسيوطي ٤٩٥/١٢.
- (٢١٢) تفسير مقاتل بن سليمان ١١٠/٣.
- (٢١٣) أخرجه المروزي في ٢٦٠/١ ، انظر : تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر بن حجاج المروزي .
- (٢١٤) البقرة: ٣٠ .
- (٢١٥) الجن: ١ - ٣ .
- (٢١٦) الجن: ١١ .
- (٢١٧) الجن: ١٤ .
- (٢١٨) فصلت: ١١ .
- (٢١٩) الإسراء: ٤٤ .
- (٢٢٠) النساء: ٨٧ .
- (٢٢١) الحشر: ٢١ .
- (٢٢٢) جامع البيان ٣٠١/٢٣ .
- (٢٢٣) الجامع لأحكام القرآن ٤٤/١٨ .
- (٢٢٤) مريم: ٨٨ - ٩١ .
- (٢٢٥) آل عمران: ١٩٠ .

(٢٢٦) يونس: ١٠١.

(٢٢٧) النساء: ٨٢.

المصادر والمراجع :

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ط (بدون) ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، بيروت - لبنان.
- أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ، دار النشر (بدون) ، ط (بدون) ، د، ت، البلد (بدون)
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، بيروت - لبنان .
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، (ت ١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، بيروت .
- تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر بن حجاج المروزي (ت ٢٩٤هـ) تحقيق د/ عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي ن مكتبة الدار ، ط ١، ١٤٠٦هـ، المدينة المنورة .
- تفسير البحر المحیط ، محمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، ط (بدون)، ١٤٢٠هـ ، بيروت .
- معالم التنزيل لمحي السنة (أبو محمد بن حسين بن مسعود البغوي ت ٥١٠هـ) تحقيق محمد عبدالله النمر وغيره ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط ٤ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- تفسير القرآن أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ) تحقيق ياسر بن إبراهيم وغيره ، دار الوطن ، ط (بدون) ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الرياض - السعودية .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- تفسير اللباب ، لابن عادل ، المؤلف أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ت ٨٨٠هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) دار الكتب العلمية ، ط ١، بيروت - لبنان .
- تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بيروت- لبنان .
- تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ، عبدالحسن بن محمد القاسم ، المطبعة (بدون) ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ ، البلد (بدون) .

- جامع البيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، مكتب التحقيق بدار هجر ، ط ١ ، البلد (بدون) .
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ، محمد بن اسماعيل البخاري (أبو عبدالله) (ت ٢٥٦هـ) ، دار الشعب ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، القاهرة.
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ، دار الجيل ، ط (بدون) دت ، بيروت - لبنان .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وغيره ، دار الكتب المصرية ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م ، القاهرة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق مركز هجر للبحوث ، الناشر دار هجر ، ط (بدون) ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، مصر .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني بتصرف يسير ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي ، تحقيق علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية ، ط (بدون) ١٤١٥هـ ، بيروت - لبنان .
- سنن ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوين (ت ٢٧٣هـ) ، كتب حواشيه محمود خليل ، مكتبة أبي المعاطي ، ط (بدون) ، دت ، البلد (بدون) .
- شرح العقيدة الطحاوية ٤١٣/١ سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، المطبعة (بدون) ، دت ، البلد (بدون) .
- شرح العقيدة الطحاوية عبدالعزيز الراجحي (عبارة عن أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية) .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) ترتيب علي بن بلبان بن عبدالله (ت ٧٢٩هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط (بدون) ، دت ، بيروت - لبنان .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، ط (بدون) ، دت ، البلد (بدون) .
- الكليات ص ٩١٣ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، بيروت - لبنان .
- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، بيروت - لبنان .
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري (ت ٣٢٠هـ) ، شرح د/ عبدالجليل عبده شلي ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، بيروت .

- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ، المكتبة الإسلامية ، ط (بدون) ، دت ، استانبول - تركيا .
- مفاتيح الغيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي . ط (بدون) ، دت ، بيروت - لبنان.
- موطأ مالك - رواية يحيى الليثي ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، دار إحياء التراث العربي ، ط (بدون) ، دت-مصر.